# مسالك القرآن الكريم في تنزيه الله تعالى عن الصاحبة والولد

إعداد

**د . عبد العزيز رشيد الأيوب**

الأستاذ المساعد في كلية التربية الأساسية

التابعة للهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب

بدولة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله الذي لا يستحق أحد أن يعبد سواه، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالحق والهدى، وعلى آله وأصحابه السالكين إلى الله سبيلاً رشدًا.

**أما بعد:**

فإن الكلام على الذات الإلهية المقدسة هو أساس ولبُّ العقائد وبها يرتفع بنيان الدين كله، ودين الله تعالى واحد وهو الإسلام. فما ضل قوم من الأقوام ولم تنشأ ملة من الملل المخالفة إلا بعد ظهور الخلل في عقيدتهم، والتغاضي عن هذا الخلل والتقاعس عن علاجه أوصل الأقوام الضالة -فيما سبق من الأزمان- إلى الانسلاخ كلية عن الإسلام، فتعددت الملل والنحل ويحسبون أنهم مهتدون. ومن هنا سيظل الناس محتاجين إلى تحرير العقائد الدينية وإزاحة الخبث الناشئ عن الخطأ والالتباس أو الهوى ووسوسة الشيطان حتى قيام الساعة.

**أهمية الموضوع:**

تبرز أهمية هذا البحث في أنه يُعد من البحوث المهمة التي تتصدى للرد على من نسب إلى الله تعالى الصاحبة والولد، فلقد كان أكثر ضلال الأمم في نسبتهم الولد إلى المولى عز وجل، فقالت اليهود: عزير ابن الله،

وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال مشركو العرب: الملائكة بنات الله. ويعتبر إثبات الولد لله تعالى من أعظم الإشراك به في ديننا الحنيف، فإن المشرك به جعل له شريكًا من مخلوقاته مع اعترافه بأنه مملوك، كما كان المشركون يقولون في تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك، فكانوا يجعلون من أشركوا به مملوكًا له عبدًا مخلوقًا(١).

وهذا ينافي كمال قدرته جل وعلا وغناه، ويجعل نسبة الولد إليه ونسبته إليه تقدح في كمال ربوبيته، فالذي يعرف الله عز وجل حق المعرفة ينبغي ألا يصدر عنه مثل هذا القول الذي يفيد بأن لله تعالى جنسًا يماثله -حاشا لله-، فإن قائل ذلك لا يكون على أدنى علم بالله تعالى، وإنما يكون زاعمًا فيه المزاعم، وظانًّا فيه الظنون بغير الحق، فإنه سبحانه لا جنس له فيكون له ولد منه.

ولذلك كانت نسبة الصاحبة والولد إليه مسبة له تبارك وتعالى، كما ثبت في حديث عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال النبي ﷺ: "قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله: لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة ولا ولدًا". [أخرجه البخاري].

ولهذا تناول القرآن الكريم هذه القضية بالحسم والبيان في مواضع

(١) انظر في أسباب شرك الأمم: الوحدانية لدويدار ص ٣٧٤.

كثيرة، وشنع بأهل هذه الفرية وقبح مقالتهم، ووعدهم بأعظم العقوبات، وذلك بطرق ودلائل متعددة. والمتأمل في نظم القرآن الكريم وترتيبه في تقرير الدعوة إلى التوحيد والتنزيه، وإظهار فساد الشرك، يعلم أنه لا طريق أوضح منه ولا أصلح منه.

**مسوغات اختيار الموضوع:**

الذي دعاني إلى اختيار هذا الموضوع القيم عدة أمور، من أهمها:

١-ما سبق ذكره، واشتمال القرآن الكريم على أهم الحقائق والدلائل القطعية التي تنفي نسبة الصاحبة والولد عن الله تعالى.

٢- أنه لا يمكن لباحث متخصص في علم الكلام أن يرد على مزاعم من نسب الصاحبة والولد إلى الله تعالى إلا إذا كان مطلعًا على نصوص القرآن الكريم في ذلك، ومدركًا لما قاله علماؤنا من قبل في تفسير هذه النصوص.

٣- إظهار عظمة هذا القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولتقرير القواعد والبراهين التي استخدمها القرآن الكريم لهذا المطلب العظيم.

**فروض وتساؤلات البحث:**

يمكن صياغة فروض وتساؤلات البحث فيما يلي:

١- ما هو الأثر المترتب في معرفة أقسام نصوص الوحي في وصف الله في القرآن؟

٢- ما هي أشهر الطوائف التي نسبت الصاحبة والولد -كذبًا وزورًا-

إلى الله تعالى؟

٣- كيف رد القرآن على زعم النصارى في قولهم بالتثليث والتوحيد معًا؟

٤- ما السبب الذي جعل كفار قريش ينسبون الملائكة بأنهم بنات لله تعالى؟

٥- ما هي أشهر البراهين القرآنية على تنزيه الله تعالى عن الصاحبة والولد؟

٦- كيف حظيت مسألة تنزيه الله تعالى عن الصاحبة والولد في القرآن الكريم؟

**منهج البحث:**

أما عن منهجي في البحث فقد اتبعت فيه المنهجية القائمة على الاستقراء والتحليل والاستنتاج حسب الطريقة العلمية في ذلك.

**الدراسات السابقة حول الموضوع:**

تبيّن لي -بعد البحث والتقصي- أن هذا الموضوع لم يسبق لأحد من الباحثين إفراد البحث فيه، ولكن ظهرت بعض الدراسات والبحوث الأكاديمية التي تطرقت -بإيجاز- إلى موضوع مسالك القرآن الكريم في تنزيه الله تعالى عن الصاحبة والولد، وذلك عند الكلام في توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، ومن أبرزها ما يلي:

١- كتاب **"الوحدانية"** مع دراسة في الأديان والفرق للأستاذ الدكتور

بركات عبد الفتاح دويدار العميد السابق لكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر. وهو بحث قيم بيّن فيه مؤلفه أن التوحيد هو الهدف الأساسي للإسلام، وذلك من خلال عرضه لمناهج القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، ثم لمنهج المحدثين من المفكرين والمتكلمين والفلاسفة، وأظهر من خلاله أسباب الشرك واختلافها من أمة إلى أمة.

٢- كتاب **"آيات الله في الآفاق أو طريق القرآن الكريم في العقائد"** للشيخ محمد أحمد العدوي، وهو كتاب اهتم صاحبه ببيان أهمية الرجوع إلى كتاب الله في الاستدلال على مسائل التوحيد، حيث جمع فيه آيات العقائد القرآنية في أبوابها المختلفة وشرحها شرحًا موجزًا، وسهل على الطالب مهمة البحث في القرآن الكريم عنها.

٣- كتاب **"النصرانية من التوحيد إلى التثليث"** للدكتور محمد أحمد الحاج. وهو كتاب احتوى على النصوص القرآنية التي بينت أن رسل الله جميعًا -وخاصة المسيح منهم- جاءوا بالتوحيد، ثم ذكر نصوصًا من الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث تؤكد صراحة هذه الحقيقة. كما بين مصادر الانحراف عن التوحيد في النصرانية.

٤- **"أساليب وخصائص المنهج القرآني في عرض أدلة التوحيد النفسية والعقلية"** للباحث رشيد منصور الصباحي، وهي رسالة علمية نال صاحبها درجة الدكتوراه بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب، جامعة صنعاء باليمن. وهو بحث تعرض فيه الباحث لأساليب وخصائص المنهج

القرآني في عرض أدلة التوحيد من الناحية النفسية والعقلية.

٥- "منهج القرآن والعلم في إثبات الألوهية" **للباحث عبد الله عثمان الكوكي. وهي رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير بقسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.**

**خطة البحث:**

أما خطتي في البحث فقد اشتملت على مقدمة، وتمهيد، وعشرة مباحث، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع، وذلك على النحو التالي:

**المقدمة:** وصدرتها بتوطئة للموضوع وأهميته، ثم تكلمت عن تساؤلاته ومنهجيته ودواعي اختياره، والدراسات السابقة حوله، ثم عرضتُ فيها لأقسام البحث ومكوناته.

**التمهيد:** وتضمن أقسام نصوص الوحي في وصف الله تعالى، وبيان الطوائف الذين نسبوا الصاحبة والولد لله جل وعلا.

**المبحث الأول:** وفيه بيان حقيقة المسيح عليه السلام عند المسلمين.

**المبحث الثاني:** وفيه بيان الاستدلال بانفراد الله بالخلق والملك.

**المبحث الثالث:** وفيه الاستدلال بما تفرد به الرب من المثل الأعلى.

**المبحث الرابع:** وفيه بيان الاستدلال بأن الله تعالى غني بذاته من كل جهة عما سواه.

**المبحث الخامس:** وفيه بيان الاستدلال بأن الله تعالى لا ابتداء له ولا فناء.

**المبحث السادس:** وفيه بيان الاستدلال بأنه لا نافع ولا ضار إلا الله تعالى.

**المبحث السابع:** وفيه الإخبار بأن الله تعالى واحد قهار.

**المبحث الثامن:** وفيه بيان الاستدلال بمعرفة الرب جل وعلا.

**المبحث التاسع:** وفيه بيان الاستدلال بعبودية الملائكة الكرام على نفي الولد.

**المبحث العاشر:** وفيه بيان الاستدلال بأنه لا شيء من الحادث بإله.

**وأما الخاتمة:** فقد ذكرتُ فيها أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث.

هذا وأسأل الله العلي العظيم أن ينفع بهذا العمل، ويجعله لوجهه خالصًا، إنه تعالى خير مسؤول وأفضل مأمول، وإنه نعم المولى ونعم النصير، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

## التمهيد

إن الخلق غلب عليهم الحس فلا يكادون يعرفون غيره وسببه المجانسة لهم في الحديث، فعبد قوم النجوم وأضافوا إليها المنافع والمضار، وعبد قوم النوم وأضافوا إليه الخير وأضافوا الشر إلى الظلمة، وعبد قوم الملائكة، وقوم الشمس، وقوم سيدنا عيسى عليه السلام، وقوم عزير، وعبد قوم البقر، والأكثرون الأصنام، فآنست نفوسهم بالحس المقطوع بوجوده، ولذلك قال قوم موسى عليه السلام: ﴿اجْعَل لَنَا إِلهًا﴾ [الأعراف: ١٣٧].

**ومن هذا المنطلق لا بد لنا أن نبيّن أن نصوص الوحي تنقسم في وصف الله تعالى إلى قسمين:** إثبات ونفي. وقد جاءت صفات الله تعالى الثبوتية مفصلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، أما النفي فلم يفصل إلا في الصاحبة والشريك والوالد والولد فقط. وذلك كما في قوله تعالى:﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص:١-٤] ونحو ذلك.

ويجدر بنا كذلك أن نذكر في هذا التمهيد بعض الفوائد المستخرجة من وحي القرآن الكريم التي تهدي العقل إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له، والتي من أهمها:

أنها تنفي الخرافات عن العقل؛ لأن الخرافات هي متاهات العقول، فلو لم ترد هذه النصوص من الوحي لبقيت عقائد الناس مثل ما كانت عقائد الإغريق اليونانيين، عندهم الآلهة ذكور وإناث، وهناك عندهم بعض الآلهة

ابن زنا من الإله، أي: إله زنا بإلهة فأنجبت له ابنًا من زنا وأصبح إلهًا لديهم، وهكذا من خرافات عقلية لا نهاية لها!. ولذلك هذا الإله (أولمبيك) يسمونه إله الرياضة، وهو ابن زنا عندهم، زنت إلهة بإله آخر فأنجبت منه هذا الولد فسميت عليه الرياضة، وإلى الآن نسمع بالملاعب الأولمبية ونحو ذلك وكله من أولمبيك.

فعلى هذا فإن هذه النصوص هي التي حررت العقول من هذه الأوهام وهذه الخيالات التي منشؤها التشبيه بما يعهده العقل؛ ولذلك فإن نصوص التنزيل في كتاب الله تعالى وسنة رسوله المصطفى ﷺ كثيرة جدًّا، وهي التي تقتضي سد النفس بالكلية عن هذه الأوهام والتخيلات التي هي متاهات تضيع العقول.

وقد كانت العرب في الجاهلية يذهبون إلى أن الملائكة بنات الله -تعالى الله عن قولهم-، والتصور العقلي يقتضي أن البنات لا يمكن أن يوجدن إلا بعد أن توجد أم، والله تعالى فند هذه الفكرة تفنيدًا قاطعًا في كثير من الآيات كما سيأتي بيانه وتفصيله.

ومن أبلغ ذلك ما كان فيه خطاب للعقل والعاطفة معًا، فقد جاء الخطاب في ذلك للعقل فقط في مثل قوله تعالى:﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾ [الإخلاص:٣]، وجاء الخطاب فيه للعقل والعاطفة معًا في مثل قوله: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**﴾ [الزخرف: ١٧-١٩]، وفي وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ

وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ. وَجَعَلُوُا الْمَلائِكَةَ القراءة السبعية الأخرى: ﴿**وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا**﴾.

فرد هذه الأوهام مهم جدًّا للعقول، ولهذا جاء النفي فيها مفصلاً، بخلاف بعض الأمور التي لا تكون من ورائها المتاهات الكبيرة فلم يرد النص بنفيها على التفصيل، وإنما جاء النفي الإجمالي في قوله تعالى:﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ**﴾ [الشورى:١١]. فقضى ذلك على التشبيه بالمخلوق كالجسم والأعضاء وغير ذلك، ولم يأت التفصيل فيها، وإنما يفصل فيها المتكلمون ويذهبون فيها كل مذهب فيقولون: ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض كاللون أو كالطعم. وهذا التفصيل العقول السليمة في غنى عنه، ولا تحتاج إليه أصلاً؛ لأنه لا يوجد وهم يميل إلى أن خالق هذا الكون كله عرض مثل الطعم أو مثل اللون، فلا يحتاج إلى نفي هذا إلا على سبيل الإجمال فيقال: ليس كمثله شيء.

ومن هنا ندرك حاجة العقول إلى الإيمان وأنه لمصلحة هذه العقول، وحائل بينها وبين التخبط في المتاهات التي لا يمكن أن تخرج من هذا الوحل.

ومن المناسب هنا أن نذكر أهم الطوائف الذين نسبوا الولد لله جل وعلا، فإن زعم الولد قديم في البشرية، فقد زعم اليهود أن العزير ابن الله، وزعم النصارى أن المسيح ابن الله، وزعم المشركون أن الملائكة بنات الله،

تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا[1]. وكل هذا بسبب أن بيئتهم وواقعهم لم تستنر بنور الوحي فتخبطت في الخرافات التي منشؤها ما يقيسون فيه على أنفسهم، فالذي يعظمونه في الأرض هم الملوك، والملوك لهم صواحب ولهم أولاد وبنات، فيرون أن من يقربه الملوك ويدنونه يمت لهم بصلة قرابة فيبحثون عن تلك القرابة، ومن هنا قالت اليهود: ﴿**نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ**﴾ [المائدة:١٨]. وإنما ادعوا البنوة لما رأوا أن الله تعالى قال ليعقوب عليه السلام: ولدك بكر ولدي. فإن صح فتأويله هو: إضافة مُلك، كما يقول صاحب الماشية: تاجي ورسلي، ثم أن بعضهم قال: ولد الله، وبعضهم قال: اتخذ الله ولدًا. فكذب الله تعالى الطائفتين بكونهم بشرًا مدبرين مقهورين[2].

وكذلك فإن النصارى افترقت على ثلاث فرق في عيسى عليه السلام بعد اتفاقهم على أنه ابن مريم: فقال بعضهم: هو إله، ومنهم من يقول: هو ابن الإله حقيقة، ومنهم من يقول: هو ثالث ثلاثة: الرب، والمسيح، وأمه، فأكذبهم الله تعالى في قولهم، وأخبر أنه رسول الله ابن مريم، ولو كان هو إلهًا لكانت أمه أحق أن تكون إلهًا؛ لأن أمه كانت قبله، ومن كان قبل أحق بذلك ممن يكون من بعد، ولأن من اتخذ الولد إنما يتخذ من جوهره، لا يتخذ من غير جوهره؛ فلو كان ممن يجوز أن يتخذ ولدًا لم يتخذ من جوهر البشر،

(١) انظر: تفسير القرطبي ١/ ٨٥.

(٢) انظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور للجرجاني ٢/ ٦٦٠.

كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِن لَدُنَّا﴾ [الأنبياء:١٧][(١)].

أما كفار قريش فمن كلماتهم الفاسدة أنهم يجعلون لله البنات، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف: ١٩]، حيث كانت خزاعة وكنانة تقول: الملائكة بنات الله. قال الرازي رحمه الله تعالى (٦٠٦هـ) مبينًا سبب قولهم هذا: "أظن أن العرب إنما أطلقوا لفظ البنات؛ لأن الملائكة لما كانوا مستترين عن العيون أشبهوا النساء في الاستتار فأطلقوا عليهم لفظ البنات. وأيضًا قرص الشمس يجري مجرى المستتر عن العيون بسبب ضوئه الباهر ونوره القاهر فأطلقوا عليه لفظ التأنيث، فهذا ما يغلب على الظن في سبب إقدامهم على هذا القول الفاسد والمذهب الباطل"[(٢)].

إن الدعوى الخالية من الدليل والعارية عن البرهان زعم وافتراء باطل لا أساس له من الصحة، وفي هذا من الجهل ما فيه، فهؤلاء المفترون ليس عندهم أي أثارة من دليل أو برهان أو سلطان أو حجة على ما يدعون، فلا دليل من علم أو وحي إلهي أو عقل يعارض تنزيه الله عز وجل وغناه المطلق عن الولد وغيره، قال سبحانه: ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٦٨]. وهذا استفهام تبكيت وتوبيخ على ما يزعمون بسبب الجهل والكفر، وفي هذا دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو

(١) انظر: تفسير الماتريدي ٣/ ٤٢٥، ومشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص لليوسي ١/ ٤٤٢.

(٢) انظر: تفسير الرازي ٢٠/ ٢٢٤.

جهالة وافتراء[1].

وبهذا رد الله تعالى عليهم دعواهم هذه في مواطن عدة من كتابه، ثم أمرهم بأن يجيئوا ببرهان يكون مستندًا إلى كتاب منزل من السماء يبين صدق ما ادعوه، فقال سبحانه: ﴿**فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [الصافات:١٥٧]، ولا يمكنهم أن يأتوا بشيء من ذلك دون شك؛ لأنه لا يستند إلى عقل ولا علم، بل لا يجوزه العقل بالكلية، وما هو إلا كذب عظيم، قال سبحانه: ﴿**مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا**﴾ [الكهف:٥]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مريم:٨٩].

ثم معلوم عندهم أنهم لم يشاهدوا الله حتى عرفوا له الولد، ولا كانوا يؤمنون بالرسل حتى يكون عندهم الخبر بما قالوا ونسبوا إليه من الولد وغيره؛ إذ الخبر إنما يوصل إليه بالرسل، وهم لا يؤمنون بهم، ولا كانوا شاهدوا ما يستدلون على ما قالوا فيه ونسبوا إليه حتى دلهم ذلك على ذلك، فسفههم في قولهم الذي قالوا فيه وما نسبوا إليه، وإنهم كَذَبة في ذلك، ولذلك قال تعالى: ﴿**أَلاَ إِنَّهُم مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ. وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ [الصافات:١٥١-١٥٢][2].

وفي هذا الصدد يجب أن نعرف أن المولى عز وجل أقام الحجة في كتابه

(١) انظر: روح المعاني للألوسي ١١/ ١٥٦.

(٢) انظر: تفسير الماتريدي ٨/ ٥٩٢.

الكريم على وجوده وتوحيده، وبيّن فساد قول من ذهب إلى الإشراك به، وفصّل مذاهبهم على أحسن الوجوه، وبيّن فساد كل واحد منها بالدلائل اللائقة به، وحكى مذهب من أثبت له جل شأنه البنين والبنات، وبيّن بالدلائل القاطعة فساد القول بها، وأثبت أنه هو الإله العالم الفرد الواحد الصمد، المنزه عن الشريك والنظير والضد والند، والمنزه عن الأولاد والبنين والبنات، خالق كل ما سواه، المصلح لمهمات جميع العباد، وهو الذي يسمع دعاءهم ويرى ذلهم وخضوعهم ويعلم حاجتهم، وهو الوكيل لكل أحد على حصول مهماته، قال تعالى: ﴿**ذَلِكُم اللَّهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ [الأنعام: ١٠٢]. وقال أيضًا: ﴿**لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ**﴾ [النحل: ٥١]، فنبه على أن الإله الحق لا يتعدد، وأن كل من يتعدد فليس بإله، ولذلك اقتصر سبحانه على ذكر الاثنين؛ لأنه قصد نفي التعديد(١).

* * *

(١) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته للقرطبي ص ١٦٢.

## المبحث الأول

## حقيقة المسيح عليه السلام عند المسلمين

يتلخص معتقد المسلمين في سيدنا عيسى عليه السلام أنه المسيح ابن مريم الصديقة، ولد بمعجزة إلهية من غير تدخل بشري، وقد ابتعثه الله تعالى نبيًّا ورسولاً إلى بني إسرائيل، يدعو إلى توحيد الله تعالى، ويبشر بمقدم خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ ، وأيده بالمعجزات العظيمة، فاستمر في دعوته، مراغمًا لليهود الذين أرادوا قتله، جريًا على عادتهم في قتل الأنبياء، لكن الله تعالى أنجاه من مكر اليهود ومؤامرتهم لقتله، ورفعه إلى سماواته، وسيعود سيدنا عيسى عليه السلام قبيل قيام الساعة، داعية إلى الله تعالى من جديد، ومطبقًا لشرعه، منكسًا للصليب، ورافعًا لأعلام التوحيد(١).

**ولمزيد من البيان نستعرض الآيات الكريمة التي أنزلها الله تعالى بشأن سيدنا عيسى عليه السلام في القرآن الكريم:**

فقد تحدثت الآيات عن سيدنا عيسى عليه السلام، فذكرت أن الله تعالى شرفه ببنوته لمريم الطاهرة البتول المصطفاة من نساء العالمين ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران:٤٢]، ومثل هذا المديح للبتول مريم لن يجده قارئ في كتاب ما سوى القرآن الذي ذكر أن الله تعالى أكرمها بالكرامات، ومنها: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ**

(١) انظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح للكشميري ص ٢٤٢، والمسيح المنتظر ونهاية العالم لطويلة ص ١٦٨.

**عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ**﴾ [آل عمران:٣٧].

وحكى القرآن عن كفالة سيدنا زكريا عليه السلام لها بعد نذر أمها بأن يكون حملها محررًا لله تعالى وعبادته، فولدت البتول الطاهرة، وتربت على عبادة الله تعالى وامتثال أمره، وقد أمرها الله عز وجل بذلك فقال: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران:٤٣].

ولما بلغت مريم مبلغ النساء حملت بمولودها الذي بشرها الله به عن طريق الملائكة، وسماه لها ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**﴾ [آل عمران:٤٥].

وذكرت الآيات أن المولود القادم قد خُلِقَ بكلمة من الله تعالى من غير تدخل بشري، فقد خلقه الله تعالى من غير أب، وبيّنت الآيات أن ليس في ذلك ما يقتضي عبادة النصارى له وتأليههم، فقد خلق الله تعالى سيدنا آدم عليه السلام أيضًا على غير الصورة المألوفة في البشر، ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَاب ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [آل عمران:٥٩]، إذن لقد خلقا جميعًا بكلمة التكوين الإلهية: "كن".

وتحدثت الآيات عن ولادة هذا المولود المبارك، فقد كان ميلاده من غير أب، لتكون أول معجزاته عليه السلام، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ابنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً**﴾ [المؤمنون:٥٠]، ثم أنطقه الله تعالى في المهد حال طفولته، أنطقه ليرد فرية اليهود على أمه العذراء البتول، قال تعالى: ﴿**قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن**

**كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾** [مريم:٢٩-٣٣]، وقال أيضًا: **﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾** [آل عمران:٤٦].

ولما بلغ مبلغ الرجال أرسله الله تعالى كما أرسل رسلاً قبله، **﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٤٦]، ورسالة سيدنا عيسى عليه السلام تصديق وتتمة لرسالة سيدنا موسى عليه السلام، ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُم﴾** [آل عمران: ٥٠]، لذا آتاه الله تعالى العلم بالتوراة، كما أخبر سبحانه: **﴿إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾** [المائدة: ١١٠]، وأنزل الله تعالى عليه الإنجيل **﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾** [المائدة: ٤٦]، والإنجيل المذكور في الآية الكريمة هو إنجيل سيدنا عيسى عليه السلام، وليس شيئًا مما ينسبه النصارى إلى تلاميذه وتلاميذهم.

وقد أيد الله تعالى سيدنا عيسى عليه السلام بالمعجزات، وآتاه من الآيات ما يدل على نبوته وما تقوم به حجة الله تعالى على قومه الذين أرسل إليهم، **﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾** [المائدة: ١١٠]، ومن آياته أيضًا علمه ببعض الغيوب التي أطلعه الله تعالى عليها **﴿وَأُنَبِّئُكُم**

**بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ٤٩].

وكما أيده الله تعالى بالبينات؛ أيده بروح القدس سيدنا جبريل عليه السلام ﴿**وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾ [البقرة: ٨٧].

وبيّن القرآن الكريم أن رسالته عليه السلام كانت إلى بني إسرائيل خاصة ﴿**وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [**آل عمران: ٤٩**]، **فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وبشرهم بنبيه الخاتم ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ [الصف: ٦].

وقد انقسم بنو إسرائيل حيال دعوته إلى مؤمن به وكافر ﴿**فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ**﴾ [الصف: ١٤]، والمؤمنون به هم حواريوه البررة الكرام.

وأما غيرهم من اليهود فلم يؤمنوا بسيدنا عيسى عليه السلام، فاستحقوا اللعنة والغضب من الله ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

وتحدثت الآيات القرآنية أيضًا بوضوح عن نجاة سيدنا عيسى عليه السلام من الصلب الذي لم تنف الآيات وقوعه، لكنها أكدت على أن المصلوب الذي تمكن منه اليهود غيره عليه الصلاة والسلام ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا**

**صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ**﴾ [النساء: ١٥٧]، وأكد القرآن جهل أهل الكتاب في هذا الموضوع وعدم تيقنهم منه ﴿**مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ إِتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**﴾ [النساء: ١٥٧].

وأكدت الآيات نجاته من الصلب مرة أخرى في قوله تعالى: ﴿**وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [آل عمران:٥٥]، وقوله أيضًا: ﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ واللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ [آل عمران:٥٤].

ويذكر القرآن الكريم مصير سيدنا عيسى عليه السلام بعد نجاته من المؤامرة، حين قال سبحانه: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ [آل عمران:٥٥]، وقوله أيضًا: ﴿**بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْه**﴾ [النساء: ١٥٨]، والوفاة المذكورة في الآية تحتمل معان في لغة العرب: منها: الموت، ومنها: النوم، ولا يمكننا الجزم بأي المعنيين، وإن مال الكثيرون من أهل العلم إلى الثاني(١).

ويشهد لصحة هذا الرأي في فهم الآية ما يذكره القرآن من نزوله آخر الزمان وإيمان أهل الكتاب به ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾ [النساء:١٥٩]، فنزوله سيكون آخر الزمان، وهو علامة على انقضائه ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا**﴾ [الزخرف:٦١].

وذكرت في سياق معجزاته عليه السلام أنه ﴿**يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً**﴾ [آل عمران: ٤٦]، وليس في كلام الكهل إعجاز إلا إذا كان صاحبه قد رفع إلى السماء ولم يبلغ بعد سن الكهولة، أي: أنه سيعود مرة أخرى،

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٤٥٠.

ويكلم الناس حال كهولته.

وأخبر النبي ﷺ عن نزول أخيه عيسى عليه السلام قبيل الساعة وعن كسره للصليب، وأنه عليه السلام لا يقبل من الأديان غير الإسلام، وأنه يبقى في الأرض أربعين سنة، ثم يموت كسائر الناس، فيصلي عليه إخوانه المسلمون، قال ﷺ: "ليس بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، بين مُمَصَّرَتين [أي: ملابسه فيها صُفرة خفيفة]، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويُهلِك المسيحَ الدجال، فيمكثُ في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، فيصلي عليه المسلمون".[أخرجه أبو داود].

وحذرت الآيات القرآنية من الغلو في سيدنا عيسى عليه السلام، واعتبرته من التقول الباطل على الله عز وجل ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ**﴾ [النساء:١٧١]، فهذه هي حقيقة المسيح التي أوضحها القرآن في مواضع كثيرة منه ﴿**ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ. مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [مريم: ٣٣- ٣٤]، فقد خلقه الله تعالى بكلمته، وحاشا لله تعالى أن يتخذه أو غيره ولدًا.

والمسيح عليه السلام لم يدع ألوهية نفسه قط، بل إنه يبرأ يوم القيامة من

كل المشركين الزاعمين ألوهيته، وذلك حين يسأله الله تعالى على رؤوس الأشهاد: ﴿**أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ**﴾ [المائدة:١١٦-١١٧]، فتنكس الرؤوس حينئذ ولا تنفع الحسرات، ولا تنقطع التأوهات.

هذه هي الحقيقة فحسب، وأما مذاهب النصارى ففيها زور وافتراء ﴿**ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ**﴾ [مريم:٣٤]، ومن افترائهم قولهم الذي كفرهم الله تعالى به ببنوة المسيح لله جل وعلا: ﴿**وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾ [التوبة:٣٠]، كما ذمت الآيات قول آخرين بأنه هو الله: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا**﴾ [المائدة:١٧].

وهكذا فإن إيمان المسلم بهذا النبي العظيم ركن من أركان الإيمان، لا يقبل الله تعالى عبدًا إلا به ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**﴾ [البقرة:٢٨٥]، عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

* * *

## المبحث الثاني

## الاستدلال بانفراد الله تعالى بالخلق والملك

حكى الباري عز وجل في مواضع كثيرة من القرآن عن هؤلاء الذين يضيفون إليه الأولاد قولهم، وقد نفى ما ينسبونه له من اتخاذه الصاحبة والولد عن طريق دليل الخلق والملك، وهو أن الله تعالى غني عن الولد؛ لأنه هو وحده خالق السموات والأرض، وهما مملوكتان لله تعالى، ومن كان هذا خلقه وملكه كان مستغنيًا عن الولد؛ لأنه ليس بحاجة إليه.

لذا نجد أن الله تعالى في كل موضع من القرآن نزه نفسه عن الصاحبة والولد ذكر كونه ملكًا ومالكًا لما في السموات وما في الأرض، ومن كان مالكًا لكل السموات والأرض ولكل ما فيهما كان مالكًا لعيسى ولمريم؛ لأنهما كانا في السموات وفي الأرض، وما كانا أعظم من غيرهما في الذوات والصفات، وإذا كان مالكًا لما هو أعظم منهما فبأن يكون مالكًا لهما أولى، وإذا كانا مملوكين له فكيف مع هذا توهم كونهما له ولدًا وزوجة(١)؟.

قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ. بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [البقرة:١١٦-١١٧]. فقوله في الآية الكريمة: "سُبْحَانَهُ"، تنزيه لله جل جلاله عن شنيع هذا القول. وفيه إشارة إلى أن الولدية نقص بالنسبة إلى الله تعالى وإن كانت كمالاً في الشاهد، لأنها إنما كانت كمالاً في

(١) انظر: تفسير الرازي ١١/ ٩٤.

الشاهد من حيث إنها تسد بعض نقائصه عند العجز والفقر، وتسد مكانه عند الاضمحلال، والله تعالى منزه عن جميع ذلك، فلو كان له ولد لآذن بالحدوث وبالحاجة إليه(١).

وقال أيضًا: ﴿إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ [النساء:١٧١]، وقال أيضًا: **﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** [يونس:٦٨].

من هذه الآيات نرى أن الله تعالى ينفي عن نفسه اتخاذ الولد، بدليل أنه خالق السموات والأرض، أي: مبدعهما ومحدثهما على غير مثال سابق وهما تشهدان له بالوحدانية، وفي هذا تنبيه لعباده أن مما يشهد له بذلك المسيح الذي زعموا بنوته لله تعالى، وأن الذي ابتدع السموات والأرض على غير مثال هو الذي ابتدع المسيح من غير والد بقدرته(٢).

وأيضًا فإن المولى عز وجل نزه نفسه عن عظيم ما قالوا فيه بأن له ولدًا، ثم أخبر أن له ما في السموات وما في الأرض، وإنما يُتخَذ الولد لإحدى خصال ثلاث:

إما لحاجة تمسه فيدفعها به عن نفسه، أو لوحشة تصيبه فيستأنس به، أو لخوف غلبة العدو فيستنصر به ويقهره، أو لما يخاف الهلاك فيتخذ الولد ليرث ملكه. فإذا كان الله سبحانه يتعالى عن أن تمسه حاجة أو تصيبه وحشة،

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ١/ ٦٨٥.

(٢) انظر: تفسير الرازي ٤/ ٢٢، وعلم الجذل في علم الجدل للطوفي ص ١٠١.

أو لملكه زوال يتعالى عن أن يتخذ ولدًا وهو عبده(١).

قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى (٣١٠هـ)- مبينًا كيفية دلالة آيات هذا المسلك على تنزيه المولى عز وجل عن الولد -: "لله ما في السموات والأرض من الأشياء كلها ملكًا وخلقًا وهو يرزقهم ويقوتهم ويدبرهم، فكيف يكون المسيح ابن الله وهو في الأرض أو في السموات غير خارج من أن يكون في بعض هذه الأماكن، وقوله: ﴿**وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً**﴾ - يقول-: وحسب ما في السموات وما في الأرض بالله قيمًا ومدبرًا ورازقًا من الحاجة معه إلى غيره"(٢). فإلى المولى عز وجل يكل كل الخلق أمورهم، وهو غني عن العالمين.

**ويترتب على كون الله خالقًا ومالكًا لكل ما في السموات والأرض عدة أمور:**

**الأول:** أنه ما دام أن كل شيء مخلوق لله تعالى ومملوك له إذن فكل ما في السموات والأرض عبيد لله، وعليه فإن كل من زعموهم أنهم أبناء الله تعالى -كالمسيح والعزير والملائكة- هم عبيد الله تعالى يدعون لعبادته ولا يستنكفون عنها، كما قال تعالى: ﴿**لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾ [النساء:١٧٢]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا. إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**﴾

(١) انظر: تفسير الماتريدي ٣/ ٤٢٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٤٢٤.

[مريم:٩٢-٩٣]، وقال تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧].

وكما أن سيدنا عيسى عليه السلام والملائكة عبيد لله تعالى، فكل شيء مخلوق فهو عبد لله حتى السموات والأرض والجبال، ولذلك تكاد السموات والأرض أن تتصدعا، وتكاد الجبال أن تتهدم من قول من زعم أن لله تعالى ولدًا، قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا. لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا. تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا**﴾ [مريم: ٨٨-٩١]، قال ابن كثير رحمه الله تعالى (٧٧٤هـ) في تفسيره لهذه الآيات: "أي: يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم إعظامًا للرب وإجلالاً؛ لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده، وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا شريك له، ولا نظير، ولا ولد، ولا صاحبة، ولا كفء له، بل هو الله الأحد الصمد"(١).

**والثاني**: أن ادعاء الولد لله كذب وبهتان ليس لقائليه دليل؛ لأنه ليس لله صاحبة - وإثباتها لا يتصور؛ لأن الأنوثة والذكورة من أسباب الحاجة؛ ولأن الجنسية دالة على الوضع. والمثال والأحداث والمفاعلة تحتاج إلى التقسيم، فإذا لم تثبت هذه المقدمات كيف يترتب ثبوت الولد عليه(٢). قال تعالى: ﴿**قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي**

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ١٧٠.

(٢) انظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور للجرجاني ٢/ ٧٢٨.

**الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ. قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾** [يونس:٦٨-٦٩]، وقال أيضًا: **﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا. مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾** [الكهف:٤-٥].

ففي هذه الآيات نزه الله تعالى نفسه عما نسبه إليه المشركون من اتخاذ الولد؛ لأنه هو الغني عن خلقه جميعًا ولا حاجة به للولد؛ لأن الولد إنما يطلبه من كان ضعيفًا ليكون عونًا له في حياته، وذكرًا له بعد وفاته، والله تعالى غني عن ذلك فلا حاجة به لمعين يعينه على تدبيره، والله تعالى حي لا يموت فليس به حاجة لخلف بعده، وعليه فمن نسب لله تعالى الولد فهو كاذب مفتر عليه، ليس عنده حجة على ذلك(١).

كذلك نلاحظ أن في قصة النفر من الجن الذين آمنوا بربهم جل وعلا بينوا أن سفيههم - وهو إبليس - قال قولاً جائرًا وباطلاً بنسبة الولد إلى الله تعالى، ويحتمل أن يراد بقولهم: "سفيهنا" اسم جنس لكل من زعم أن لله تعالى صاحبة وولدًا، وقد نفى الجن الولد عن الله تعالى بعد أن نفوا عنه الصاحبة؛ لأن الولد لا يكون إلا منها، والله ليس له صاحبة؛ ولا يتصور إثبات الصاحبة؛ لأن الأنوثة والذكورة من أسباب الحاجة؛ ولأن الجنسية دالة على الوضع، والمثال والأحداث والمفاعلة تحتاج إلى التقسيم، فإذا لم تثبت هذه المقدمات كيف يترتب ثبوت الولد عليه(٢). قال تعالى: **﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ**

(١) انظر: تفسير الطبري ١٥/ ١٤٥، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٣/ ٣٧٣.
(٢) انظر: تفسير الجرجاني ٢/ ٧٢٨، وتفسير ابن كثير ٤/ ٥١٦.

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام:١٠١]، فكلامهم فيه نفي الصاحبة والولد عن الله تعالى وبيان أن ادعاء ذلك لله كذب وشطط من القول، قال تعالى عنهم: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا. وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجن:٣-٤]. قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسير هاتين الآيتين: "فقال النفر من الجن: علا مُلك ربنا وسلطانه ومقدرته وعظمته أن يكون ضعيفًا ضعف خلقه الذين تضطرهم الشهوة إلى اتخاذ الصاحبة أو وقاع شيء يكون منه ولد"(١).

**فإن قيل:** زعمت النصارى أن السيدة مريم عليها السلام هي صاحبته؟

**فالجواب:** أن الصاحبة تقتضي المجانسة، والله تعالى منزه عن الجنس والنوع، فإذًا ليس له صاحبة ولا بنون ولا بنات سبحانه(٢).

**والثالث:** أنه ثبت لدينا أن المولى عز وجل مالك لجميع الموجودات، ولو كان له ولد لكان مثله في المالكية، فلا يكون مالكًا لجميعها، وكذا: كفايته في الحفظ؛ لأن الوكيل بمعنى الحافظ، لأن من وكل إليه شيء يحفظه، فإذا استقل في ذلك لم يحتج إلى الولد، فإن الولد يعين أباه في حياته، ويقوم مقامه بعد وفاته، والله تعالى منزه عن كل هذا، فلا يتصور له ولد عقلاً، ويكون افتراؤه جهلاً وحمقًا(٣).

**ومن أمثلة هذا الاستدلال:** قول الحق تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٣/ ٦٥٠.

(٢) انظر: غرائب التفسير للكرماني ١/ ٣٧٨.

(٣) انظر: حاشية الشهاب على البيضاوي ٣/ ٢٠٤.

﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٠١]. والإبداع عبارة عن تكوين الشيء من غير سبق مثال، ولذلك فإن من أتى في فن من الفنون بطريقة لم يسبقه غيره فيها، يقال: إنه أبدع فيه(١). فكون السموات من جنس ما يوصف بالولادة لا يقتضي تصوره في نوعها أو إفرادها؛ لأن التوالد لا يكون فيما لا زوج له، فكيف يقال: إن تبرأها عن ذلك لاستمرارها، وطول مدتها؟ والولد إنما يطلب للبقاء ببقاء النوع، وهي غير محتاجة إلى ذلك، فالله جل وعلا أولى به. والكلام في ولد الوالد وهو يستدعي الزوجة(٢).

**وهذا المثال من القرآن الكريم فيه إبطال الولد من خمسة وجوه:**

**الأول**: أنه من مبدعاته السموات والأرضون، وهي مع أنها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها؛ لاستمرارها وطول مدتها، فهو أولى بأن يتعالى عنها، أو أن ولد الشيء نظيره، ولا نظير له فلا ولد.

**والثاني**: أن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس، فلم يصح أن تكون له صاحبة، فلم تصح الولادة.

**والثالث**: أنه ما من شيء إلا وهو خالقه والعالم به، ومن كان بهذه الصفة كان غنيًّا عن كل شيء، والولد إنما يطلبه المحتاج.

**والرابع**: أن الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته منه، وهو تعالى مبتدع الأشياء كلها، فاعل على الإطلاق، منزه عن الانفعال، فلا يكون والدًا.

(١) انظر: مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار للشهرستاني ١/ ٥٣٢، وتفسير الرازي ١٣/ ٩٣.
(٢) انظر: حاشية الشهاب على البيضاوي ٤/ ١٠٦، ودلائل التوحيد للتليدي ص ٩٨.

**والخامس**: أن الولد كفؤ الوالد، ولا كفؤ له تعالى لسببين:

١-أن كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه.

٢-أنه تعالى لذاته عالم بكل المعلومات، ولا كذلك غيره بالإجماع[١].

قال ابن عرفة رحمه الله تعالى (٨٠٣هـ) في قوله تعالى: ﴿**أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ**﴾: "استدل في الآية على نفي الولد إما بالبرهان العقلي أو بالخطابة، أما البرهان فتقديره: أنه مبتدع الشهوات إبداعًا لا نظير له، فدل على أنه الإله، والإله موصوف بالكمال منزه عن النقائص، والولد مناف لذلك. وأما الخطابة: فلأن الولد من صفات الأجسام؛ إذ لا ولد في الحقيقة إلا لمن له صاحبة، وهو سبحانه منزه عن المجانس"[٢].

**إذا عرفنا هذا نقول**: إن الله تعالى سلم للنصارى أن سيدنا عيسى عليه السلام حدث من غير أب ولا نطفة، بل إنه إنما حدث ودخل في الوجود؛ لأن الله تعالى أخرجه إلى الوجود من غير سبق الأب. فالآية الكريمة تخبرهم وتقول لهم: إنكم إما أن تريدوا بكونه ولدًا لله أنه أحدثه على سبيل الإبداع من غير تقدم نطفة ووالد. وإما أن تريدوا بكونه ولد الله كما هو المألوف المعهود من كون الإنسان ولدًا لأبيه، وإما أن تريدوا بكونه ولدًا لله مفهوما ثالثًا مغايرًا لهذين المفهومين.

**أما الاحتمال الأول**: فباطل، وذلك لأن المولى عز وجل وإن كان

(١) انظر: الكشاف للزمخشري ٢/ ٥٣، وتفسير البيضاوي ٢/ ٤٣٧، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٤/ ١٠٦.

(٢) انظر: تفسير ابن عرفة ٢/ ١٧٨.

يحدث الحوادث في مثل هذا العالم الأسفل بناء على أسباب معلومة ووسائط مخصوصة، إلا أن النصارى يسلمون أن العالم الأسفل محدث، وإذا كان الأمر كذلك لزمهم الاعتراف بأنه تعالى خلق السموات والأرض من غير سابقة مادة ولا مدة، وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يكون إحداثه للسموات والأرض إبداعًا، فلو لزم من مجرد كونه مبدعًا لإحداث سيدنا عيسى عليه السلام كونه والدًا له لزم من كونه مبدعًا للسموات والأرض كونه والدًا لهما. ومعلوم أن ذلك باطل بالاتفاق، فثبت أن مجرد كونه مبدعًا لعيسى عليه السلام لا يقتضي كونه والدًا له، فهذا هو المراد من قوله: ﴿**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ**﴾. وإنما ذكر السموات والأرض فقط ولم يذكر ما فيهما؛ لأن حدوث ما في السموات والأرض ليس على سبيل الإبداع، أما حدوث ذات السموات والأرض فقد كان على سبيل الإبداع، فكان المقصود من الإلزام حاصلاً بذكر السموات والأرض، لا بذكر ما في السموات والأرض، فهذا إبطال الوجه الأول.

**وأما الاحتمال الثاني**: وهو أن يكون مراد القوم من الولادة هو الأمر المعتاد المعروف من الولادة في الحيوانات، فهذا أيضًا باطل، **ويدل عليه وجوه:**

**الوجه الأول**: أن تلك الولادة لا تصح إلا ممن كانت له صاحبة وشهوة، وينفصل عنه جزء ويحتبس ذلك الجزء في باطن تلك الصاحبة، وهذه الأحوال إنما تثبت في حق الجسم الذي يصح عليه الاجتماع والافتراق

والحركة والسكون والحد والنهاية والشهوة واللذة، وكل ذلك على خالق العالم محال. وهذا هو المراد من قوله: ﴿**أَنَّى يَكُون لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ**﴾.

**والوجه الثاني**: أن تحصيل الولد بهذا الطريق إنما يصح في حق من لا يكون قادرًا على الخلق والإيجاد والتكوين دفعة واحدة، فلما أراد الولد وعجز عن تكوينه دفعة واحدة عدل إلى تحصيله بالطريق المعتاد. أما من كان خالقًا لكل الممكنات قادرًا على كل المحدثات، فإذا أراد إحداث شيء قال له: "كن" فيكون، ومن كان هذا الذي ذكرنا صفته ونعته، امتنع منه إحداث شخص بطريق الولادة، وهذا هو المراد من قوله: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾.

**والوجه الثالث**: وهو أن هذا الولد إما أن يكون قديمًا أو محدثًا، لا جائز أن يكون قديمًا؛ لأن القديم يجب كونه واجب الوجود لذاته. وما كان واجب الوجود لذاته كان غنيًّا عن غيره فامتنع كونه ولدًا لغيره، فبقي أنه لو كان ولدًا لوجب كونه حادثًا. فنقول: إنه تعالى عالم بجميع المعلومات فإما أن يعلم أن له في تحصيل الولد كمالاً ونفعًا أو يعلم أنه ليس الأمر كذلك، فإن كان الأول فلا وقت يفرض أن الله تعالى خلق هذا الولد فيه إلا والداعي إلى إيجاد هذا الولد كان حاصلاً قبل ذلك، ومتى كان الداعي إلى إيجاده حاصلاً قبله وجب حصول الولد قبل ذلك، وهذا يوجب كون ذلك الولد أزليًّا وهو محال، وإن كان الثاني فقد ثبت أنه تعالى عالم بأنه ليس له في تحصيل الولد

كمال حال ولا ازدياد مرتبة في الإلهية، وإذا كان الأمر كذلك وجب أن لا يحدثه البتة في وقت من الأوقات، وهذا هو المراد من قوله: ﴿**وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾.

**وفيه وجه آخر** وهو أن يقال: الولد المعتاد إنما يحدث بقضاء الشهوة، وقضاء الشهوة يوجب اللذة، واللذة مطلوبة لذاتها، فلو صحت اللذة على الله تعالى مع أنها مطلوبة لذاتها، وجب أن يقال: إنه لا وقت إلا وعلم الله تعالى بتحصيل تلك اللذة يدعوه إلى تحصيلها قبل ذلك الوقت؛ لأنه تعالى لما كان عالمًا بكل المعلومات وجب أن يكون هذا المعنى معلومًا، وإذا كان الأمر كذلك، وجب أن يحصل تلك اللذة في الأزل، فلزم كون الولد أزليًّا. وقد بينا أنه محال، فثبت أن كونه تعالى عالـمًا بكل المعلومات مع كونه تعالى أزليًّا يمنع من صحة الولد عليه، وهذا هو المراد من قوله: ﴿**وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾.

فثبت بما ذكرنا أنه لا يمكن إثبات الولد لله تعالى بناء على هذين الاحتمالين المعلومين، فأما إثبات الولد لله تعالى بناء على احتمال ثالث فذلك باطل؛ لأنه غير متصور ولا مفهوم عند العقل، فكان القول بإثبات الولادة بناء على ذلك الاحتمال الذي هو غير متصور خوضًا في محض الجهالة وأنه باطل، فهذا هو المقصود من هذه الآية الكريمة(١).

**ومن الآيات التي استدل فيها بهذا المسلك:** قول الحق سبحانه:

(١) انظر: تفسير الرازي ١٣/ ٩٣.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ. وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [النحل:٥١-٥٢].

فهذا نهي صريح عن الشرك، وإثبات التوحيد يتضمن الأمر به.

**ووجه تقرير هذه الحجة**: أن كل ما يدعى إلهًا مع الله تعالى مملوك له، وكل مملوك له ليس بإله معه، فكل ما يدعى إلهًا معه ليس في الحقيقة إلهًا معه. **بيان الأولى**: بالآية إذ تضمنت أن له ما في السموات والأرض، وما كان له فهو مملوك له. **وبيان الثانية**: أن الإله مالك، والمملوك من حيث هو مملوك لا يكون مالكًا، فالإله ليس بمملوك، فالمملوك من حيث هو لا يكون إلهًا، وإن شئت قلت: لو كان مع الله إله غيره لكان مملوكًا له، واللازم باطل، فالملزوم كذلك، بيان الشرطية: أن ذلك الغير مما في السموات والأرض، وكل ما في السموات والأرض مملوك له، فذلك الغير مملوك له بيان انتفاء اللازم استحالة اجتماع المملوكية مع الإلهية(١).

**وقبل أن نختم الحديث عن هذا المسلك، ينبغي بيان فساد مذهب من يقول بالولد عن طريق هذا البرهان، نجمله في أمور أربعة:**

**الأول**: أن كل ما سوى الموجود الواجب ممكن لذاته، وكل ممكن لذاته محدث، وكل محدث فهو مخلوق لواجب الوجود، والمخلوق لا يكون ولدًا.

أما بيان أن ما سوى الموجود الواجب ممكن لذاته، فلأنه لو وجد

(١) انظر: الإشارات الإلهية للطوفي ص٣٨٠.

موجودان واجبان لذاتهما لاشتركا في وجوب الوجود، ولامتاز كل واحد منهما عن الآخر بما به التعين، وما به المشاركة غير ما به الممايزة، ويلزم تركب كل واحد منهما من قيدين، وكل مركب فإنه مفتقر إلى كل واحد من أجزائه، وكل واحد من أجزائه من غيره، فكل مركب فهو مفتقر إلى غيره، وكل مفتقر إلى غيره فهو ممكن لذاته، فكل واحد من الموجودين الواجبين لذاتهما ممكن لذاته، وهذا خلف.

**ثم نقول**: إن كان كل واحد من ذينك الجزءين واجبًا عاد التقسيم المذكور فيه، ويقضي إلى كونه مركبًا من أجزاء غير متناهية، وذلك محال، ومع تسليم أنه غير محال فالمقصود حاصل، لأن كل كثرة فلا بد فيها من الواحد، فتلك الآحاد إن كانت واجبة لذواتها كانت مركبة على ما ثبت، فالبسيط مركب، هذا خلف.

وإن كانت ممكنة كان المركب المفتقر إليها أولى بالإمكان، فثبت بهذا البرهان أن كل ما عدا الموجود الواجب ممكن لذاته، وكل ممكن لذاته فهو محتاج إلى المؤثر، وتأثير ذلك المؤثر فيه إما أن يكون حال عدمه أو حال وجوده، فإن كان الأول فذلك الممكن محدث، وإن كان الثاني فاحتياج ذلك الموجود إلى المؤثر: إما أن يكون حال بقائه أو حال حدوثه، والأول محال؛ لأنه يقتضي إيجاد الوجود فتعين الثاني، وذلك يقتضي كون ذلك الممكن محدثًا.

فثبت أن كل ما سوى الله محدث مسبوق بالعدم، وأن وجوده إنما

حصل بخلق الله تعالى وإيجاده وإبداعه، فثبت أن كل ما سواه فهو عبده وملكه، فيستحيل أن يكون شيء مما سواه ولدًا له، وهذا البرهان إنما استفدناه من قوله تعالى: ﴿**بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾، أي: له كل ما سواه على سبيل الملك والخلق والإيجاد والإبداع.

**والثاني**: أن هذا الذي أضيف إليه بأنه ولده إما أن يكون قديمًا أزليًّا أو محدثًا، فإن كان أزليًّا لم يكن حكمنا بجعل أحدهما ولدًا والآخر والدًا أولى من العكس، فيكون ذلك الحكم حكمًا مجردًا من غير دليل، وإن كان الولد حادثًا كان مخلوقًا لذلك القديم وعبدًا له فلا يكون ولدًا له.

**والثالث**: أن الولد لا بد وأن يكون من جنس الوالد، فلو فرضنا له ولدًا لكان مشاركًا له من بعض الوجوه، وممتازًا عنه من وجه آخر، وذلك يقتضي كون كل واحد منهما مركبًا ومحدثًا وذلك محال، فإذن المجانسة ممتنعة فالولدية ممتنعة.

**والرابع**: أن الولد إنما يتخذ للحاجة إليه في الكبر ورجاء الانتفاع بمعونته حال عجز الأب عن أمور نفسه، فعلى هذا إيجاد الولد إنما يصح على من يصح عليه الفقر والعجز والحاجة، فإذا كان كل ذلك محال كان إيجاد الولد عليه سبحانه محالاً[1].

(١) انظر: تفسير الرازي ٤/ ٢٣، وتفسير القرطبي ١/ ٨٥، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٣/ ٣٧٣.

## المبحث الثالث

## الاستدلال بما تفرد به الرب من المثل الأعلى

يعتمد هذا المسلك على دليل المثل الأعلى، ومحله الآيات الدالة على تفرد المولى عز وجل من المثل الأعلى، والمعنى: أن كل صفة كمال فالخالق أولى بالاتصاف بها، وكل صفة نقص فالخالق أولى بالتنزه عنها، وقد كان العرب يكرهون نسبة البنات لأنفسهم، ولكنهم لم يتورعوا عن نسبتهن إلى الله تعالى - بزعمهم أن الملائكة بنات الله -، والخالق أولى بالتنزه عن البنات منهم.

قال تعالى: **﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ. وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل:٥٧-٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمْ الْحُسْنَى لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾** [النحل:٦٢]، وقال تعالى: **﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ. أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ. وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ. وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ. وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ**

**إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ. أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ. بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾** [الزخرف:١٥-٢٢].

وقال تعالى: **﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمْ الْبَنُونَ. أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ. أَلا إِنَّهُم مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ. وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ. أَفَلا تَذَكَّرُونَ. أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ. فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ. وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾** [الصافات:١٤٩-١٥٩]، وقال تعالى: **﴿أَفَرَأَيْتُمْ اللاَّتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى. أَلَكُمْ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى. إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِن رَبِّهِمُ الْهُدَى. أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى. فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى. وَكَم مِن مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى. إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَى. وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾** [النجم:١٩-٢٨].

في هذه الآيات يخبر الله تعالى أن المشركين زعموا أن الملائكة إناث وأنهم بنات الإله فعبدوهم معه، وقد ضلوا في ذلك حيث نسبوا أقل القسمين من الأولاد - وهو البنات - إلى الله تعالى وهم لا يرضونهن لأنفسهم، بل يتغير وجه أحدهم إذا بشّر بولادة الأنثى له، ويحزن ويكره أن يراه الناس

يفكر بدفنها حية، فكيف أنف هؤلاء المشركون من ذلك ونسبوه إلى الله تعالى، والله تعالى له الكمال المطلق من كل وجه[1]؟!.

ولم يكتف المشركون بزعم بنوة الملائكة لله، بل عبدوا الملائكة زاعمين أن الله تعالى يرضى بهذه العبادة: ﴿**وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ**﴾. وهذا قول في غاية الكفر والكذب، وجعلهم الملائكة إناثًا كفر واستهانة بمخلوق كريم مقرب إلى الله تعالى، وزعمهم أن الملائكة بنات الله تعالى كفر، وفيه تمثيل لله بخلقه وتفضيل لأنفسهم على الله تعالى، وعبادتهم للملائكة من دون الله تعالى محتجين على ذلك بأن الله تعالى لو شاء لمنعهم من العبادة، فلما لم يمنعهم دل ذلك على رضاه بذلك - حسب زعمهم -، وكل واحدة من هذه الآراء الكافرة الكاذبة توجب الخلود في النار لصاحبها إذا مات وهو معتقد لها[2].

ويوجه الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ أن يسألهم على سبيل الإنكار عليهم: ﴿**أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ**﴾ [الصافات:١٤٩]، ويقول تعالى منكرًا عليهم: ﴿**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا**﴾ [الإسراء:٤٠]، وقال أيضًا: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [الصافات:١٥٣]، وقال أيضًا: ﴿**أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى**﴾ [النجم:٢١-٢٢]، فيا أيها الجاعلون البنات لله ولكم الذكور، قسمتكم هذه ظالمة وجائرة، وناقصة غير تامة؛ لأنكم قسمتم لربكم جل وعلا من الولد ما تكرهون لأنفسكم وآثرتم

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٣/ ٤٠١.

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٩/ ٣٦٦.

أنفسكم بما ترضون!، ثم كيف حكمتم بأنوثة الملائكة، هل أنتم شهدتم خلقهم، ستسألون يوم القيامة عن هذا الافتراء العظيم(١)؟.

ثم أي شيء حمل الله تعالى على أن يختار البنات على البنين، أليس لكم عقول تفكرون بها، أي حجة لكم على دعواكم، هاتوا برهانًا مستندًا لأي كتاب منزل من عند الله تعالى على صحة ما تقولون؟. إنكم لن تجدوا دليلاً على قولكم؛ لأن قولكم هذا لا يستند إلى شرع ولا عقل، وليس عندكم علم صحيح على ما قلتم، وأقوالكم هذه كذب وافتراء وكفر شنيع، وكلها صادرة عن ظن ووهم لا عن حقيقة وعلم، وأنى للظن أن يغني من الحق شيئًا.

وقد ذكر بعض المفسرين أنهم جاءوا في مقالهم هذا بثلاثة أنواع من الكفر:

**أحدها:** أنهم أثبتوا التجسيم لله تعالى؛ لأن الولادة من أحوال الأجسام.

**والثاني:** إيثار أنفسهم بالأفضل وجعلهم لله تعالى الأقل.

**والثالث:** أنهم جعلوا للملائكة المقربين وصف الأنوثة وهم يتعيرون بأبي الإناث، ولذلك كرر الله تعالى هذه الأنواع من كفرهم في كتابه غير مرة(٢).

**ولا بد أن نشير أن لهذا المسلك ثلاثة أنواع:**

**الأول:** ما بني على منافاة المثل الأعلى عمومًا، أي: بما يشمل الكمال المطلق والنزاهة عن المثل، قال تعالى: ﴿**وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ**

(١) انظر: علم الجذل في علم الجدل للطوفي ص ١٩١، ٢٠٢.

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٣/ ١٨٠.

**مَا يَشْتَهُونَ. وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [النحل:٥٧-٦٠]. فالتفرد بالمثل الأعلى يقتضي نزاهة الرب عن النقائص والنظراء، بما في ذلك الأولاد عامة، والأنثى خاصة، وهي التي تناقض المفترون في أمرها، فنزهوا عنها أنفسهم الجديرة بكل نقص، وأضافوها إلى ربهم المستحق لكل كمال(١).

**والثاني**: ما بني على منافاة الكمال خاصة، قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾ [الإخلاص:١-٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء:١٧١]. قال ابن عرفة رحمه الله تعالى معلقًا: "الاستدلال بهذه الآية على نفي الولد أبلغ من استدلاله على نفيه بقوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾؛ لأن هذه تضمنت نفي وجود الولد، ونفي القابلية أبلغ من نفي الوجود(٢). وقال تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر:٤]، وقال تعالى: ﴿**قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ**﴾ [يونس:٦٨]، وقال تعالى حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا﴾ [الجن:٣]، أي: تعالت عظمته، فبني التنزيه عن الولد على منافاته لكمالات الرب التي تجمعها صمديته وعظمته،

(١) انظر: علم الجذل في علم الجدل للطوفي ص ١٥١.

(٢) انظر: تفسير ابن عرفة ٢/ ٧٥.

كالوحدانية والغنى والقهر؛ إذ الولد يبطل الوحدانية، وينافي الغنى لدلالته على القصور والاحتياج، ويبطل عموم القهر لما في العالم العلوي والسفلي؛ لأن الولد سيكون إلهـًا قاهرًا لا مقهورًا(١).

**والثالث:** ما بني على منافاة النزاهة عن المثل، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ. بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٦-١١٧]. سياق المعنى في هذه الآيات فيه تحقيق لاستحالة التوالد، فإن من لم يقل بالأمر القولي ولم يثبت وراء عالم الخلق أمرًا وقولاً وكلمة تامة وكلمات عامة فقد أثبت التوالد من ذاته تعالى، والصدور عنه كصدور الضوء من الشمس، فقد بيّن الله تعالى أنه بديع السموات والأرض ومبتدعها من غير إصدار عن ذاته، ولا تولد من وجوده، بل إذا قضى أمرًا فإنما يقول له: "كن".

واتخاذ الولد يكون على وجهين:

**الوجه الأول:** الاتخاذ بمعنى الاصطناع قولاً.

**والوجه الثاني:** الاتخاذ بمعنى الولادة فعلاً.

وكلا الوجهين منفيّان عن جناب القدس، لما فيهما من إيهام التشبيه، أو تحقيق التشبيه وإثبات المناسبة والمشابهة، ولا نسبة إلى الله تعالى لأحد من خلقه عمومًا وخصوصًا إلا نسبة العبودية(٢).

(١) انظر: تفسير أبي السعود ٧/ ٢٤٢.

(٢) انظر: مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار للشهرستاني ١/ ٥٣١.

وكذلك فإن المولى عز وجل ذمهم بالوصف الأعم؛ لأن اتخاذ الولد يصدق على الابن حقيقة وعلى ابن التبني[1]. وتقرير الآية الكريمة: أن الولد إنما يحتاج إليه للتكثر به من قلة أو للاستعانة به من عجز، والله تعالى لا قليل فيكثّر بالولد ولا عاجز فيستعين به، لأن سر قدرته بين الكاف والنون[2].

وقد ذكر أبو الفتح الشهرستاني رحمه الله تعالى (٥٤٨هـ) في معرض تفسيره للآيات السابقة أن من قال بالإنجاب الذاتي فقد قال بالتوليد من الذات، ولهذا لزمه وحدة الصادر عنه؛ إذ كان إنجابه من وجه واحد، ولزمه قدم الصادر؛ إذ كان وجوده مفيضًا للجود بالذات، ولزمه تجرد الصادر عن المادة؛ إذ كان الموجب مجردًا عن المادة، إلى غير ذلك من المناسبات العقلية، وكل ذلك مذهب الفلاسفة، فهم الذين قالوا: اتخذ الله ولدًا. والنصارى نسجوا على منوالهم.

وذكر أيضًا أن الهوية المطلقة أحق اختصاصًا بالله تعالى، وأخص تحققًا له، وأن الماهية المطلقة أشد اختصاصًا بأول موجود أبدعه على اختلاف الأقاويل فيه، قلمًا كان أو عقلاً، روحًا كان أو عنصرًا، مركبًا كان أو مفردًا. فإن قولنا: "هو" أسبق من قولنا: "ما هو، وهل هو، وكم هو، وكيف هو، وأين هو، ومتى هو؟". ولما تحقق الازدواج بين القلم واللوح على لسان النبوة، أو بين العقل والنفس على لسان الحكمة، كان أول والد هو العقل، وأول مولود هو النفس، فلم يكن قبلهما ولادة، سبحانه هو الله الأحد

(١) انظر: تفسير ابن عرفة ١/ ١٦٢.

(٢) انظر: علم الجذل في علم الجدل للطوفي ص ١٠١.

الصمد، فالله تعالى إله الماهيات، واحد الكميات، وصمد الكيفيات، لم يلد كالعقل، ولم يولد كالنفس، ولم يكن له كفوًا أحد كالطبيعة، وذلك معنى البديع(١).

وقال تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ**﴾ [الأنبياء:٢٦]، وقال تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الأنعام:١٠١]، فبني التنزيه عن الولد على استحالة أن يكون لرب العالم وخالقه مماثل من عباده المخلوقين المملوكين المحتاجين؛ لأن الولد يماثل أصله، ولا يكون إلا بين أصلين متماثلين(٢).

* * *

(١) انظر: مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار للشهرستاني ١/ ٥٣١.

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٢/ ٦٨٩.

## المبحث الرابع

## الاستدلال بأن الله غني بذاته من كل جهة عما سواه

أوضح الله تعالى هذا المسلك في قوله جل وعلا: ﴿**قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [يونس:٦٨].

فكون المولى عز وجل غنيًّا مالكًا لكل ما في السموات والأرض يدل على أنه يستحيل أن يكون له ولد، وبيان ذلك في سبعة وجوه:

**الوجه الأول**: أنه سبحانه غني مطلقًا على ما في هذه الآية، والعقل أيضًا يدل عليه؛ لأنه لو كان محتاجًا لافتقر إلى صانع آخر، وهو محال، وكل من كان غنيًّا فإنه لا بد أن يكون فردًا منزهًا عن الأجزاء والأبعاض، وكل من كان كذلك امتنع أن ينفصل عنه جزء من أجزائه، والولد عبارة عن أن ينفصل جزء من أجزاء الإنسان، ثم يتولد عن ذلك الجزء مثله، وإذا كان هذا محالاً ثبت أن كونه تعالى غنيًّا يمنع ثبوت الولد له.

**الوجه الثاني**: أنه تعالى غني، وكل من كان غنيًّا كان قديمًا أزليًّا باقيًا سرمديًّا، وكل من كان كذلك امتنع عليه الانقراض والانقضاء، والولد إنما يحصل للشيء الذي ينقضي وينقرض، فيكون ولده قائمًا مقامه، فثبت أن كونه تعالى غنيًّا يدل على أنه يمتنع أن يكون له ولد.

**الوجه الثالث**: أنه تعالى غني، وكل من كان غنيًّا فإنه يمتنع أن يكون موصوفًا بالشهوة واللذة، وإذا امتنع ذلك امتنع أن يكون له صاحبة وولد.

**الوجه الرابع**: أنه تعالى غني، وكل من كان غنيًّا امتنع أن يكون له ولد؛ لأن اتخاذ الولد إنما يكون في حق من يكون محتاجًا حتى يعينه ولده على المصالح الحاصلة والمتوقعة، فمن كان غنيًّا مطلقًا امتنع عليه اتخاذ الولد.

**الوجه الخامس**: ولد الحيوان إنما يكون ولدًا له بشرطين: إذا كان مساويًا له في الطبيعة والحقيقة، ويكون ابتداء وجوده وتكونه منه. وهذا في حق الله تعالى محال؛ لأنه تعالى غني مطلقًا، وكل من كان غنيًّا مطلقًا كان واجب الوجود لذاته، فلو كان لواجب الوجود ولد، لكان ولده مساويًا له، فيلزم أن يكون ولد واجب الوجود أيضًا واجب الوجود، لكن كونه واجب الوجود يمنع من تولده من غيره، وإذا لم يكن متولدًا من غيره لم يكن ولدًا، فثبت أن كونه تعالى غنيًّا من أقوى الدلائل على أنه تعالى لا ولد له.

**الوجه السادس**: أنه تعالى غني، وكل من كان غنيًّا امتنع أن يكون له أب وأم، وكل من تقدس عن الوالدين وجب أن يكون مقدسًا عن الأولاد.

**غير أنه قد يثار سؤال هنا، مفاده**: أن هذا يشكل بالوالد الأول؟

**وللجواب عن هذا التساؤل نقول**: أن الوالد الأول لا يمتنع كونه ولدًا لغيره؛ لأنه تعالى قادر على أن يخلق الوالد الأول من أبوين يقدمانه، أما الحق سبحانه فإنه يمتنع افتقاره إلى الأبوين، وإلا لما كان غنيًّا مطلقًا.

**الوجه السابع**: إنه تعالى غني مطلقًا، وكل من كان غنيًّا مطلقًا امتنع أن يفتقر في إحداث الأشياء إلى غيره.

**إذا ثبت هذا نقول**: هذا الولد إما أن يكون قديمًا أو حادثًا، فإن كان

قديمًا فهو واجب الوجود لذاته؛ إذ لو كان ممكن الوجود لافتقر إلى المؤثر، وافتقار القديم إلى المؤثر يقتضي إيجاد الموجود وهو محال، وإذا كان واجب الوجود لذاته لم يكن ولدًا لغيره، بل كان موجودًا مستقلاً بنفسه، وأما إن كان هذا الولد حادثًا، والحق سبحانه غني مطلقًا، فكان قادرًا على إحداثه ابتداء من غير تشريك شيء آخر، فكان هذا عبدًا مطلقًا ولم يكن ولدًا.

فهذه جملة الوجوه المستنبطة من قوله: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ الدالة على أنه يمتنع أن يكون لله جل وعلا ولد(١).

**ومن أهم الآيات التي تضمنت الاستدلال بهذا المسلك:** قول الحق سبحانه: ﴿**وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا**﴾ [الجن:٣]. فمما ذكره الجن أنهم لما سمعوا القرآن الكريم كأنهم تنبهوا لفساد ما عليه كفرة الجن، فرجعوا أولاً عن الشرك، وثانيًا عن دين النصارى، فنفوا عن أنفسهم الشرك، ونزهوا ربهم عن الصاحبة والولد فقالوا: ﴿**وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا**﴾. ولأن اتخاذ الصاحبة من الخلق؛ لغلبة الشهوة، وهو منشئ الشهوات، فلا يجوز أن يغلبه ما هو خلقه، فيبعثه ذلك على اتخاذ الصاحبة، وبهذا يرد على من زعم أن الملائكة بنات الله تعالى، والبنات يحدثن من الصاحبة، وهو تعالى لم يتخذ صاحبة، فأنى يكون له بنات(٢).

**ولكي نحرر الكلام في كيفية دلالة الآية الكريمة على مطلب تنزيه الله تعالى عن الصاحبة والولد، لا بد لنا أن نشير إلى معنى الجد في الآية، فقد**

(١) انظر: تفسير الرازي ١٧/ ١٠٦.

(٢) انظر: تفسير الماتريدي ١٠/ ٢٤٤.

**ذكر المفسرون أن لها ثلاثة أقوال كلها ترد في باب تنزيه الباري جل وعلا عن الصاحبة والولد:**

**الأول:** أن الجد يراد به في اللغة: العظمة، يقال: جد فلان، أي: عظم. ومنه الحديث الشريف: "كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة جد فينا".[أخرجه أحمد]. أي: جد قدره وعظم؛ لأن الصاحبة تتخذ للحاجة إليها، والولد للتكثر به والاستئناس، وهذه من سمات الحدوث، وهو سبحانه منزه عن كل نقص.

**والثاني:** الجد: الغنى، ومنه الحديث: "لا ينفع ذا الجد منك الجد".[أخرجه البخاري]. أي: لا ينفع ذا الغنى منك غناه. وكذلك الحديث الآخر: "قمت على باب الجنة فإذا عامة من يدخلها الفقراء، وإذا أصحاب الجد محبوسون".[أخرجه البخاري]. يعني: أصحاب الغنى في الدنيا. فيكون المعنى: وأنه تعالى غني عن الاحتياج إلى الصاحبة والاستئناس بالولد.

**والثالث:** أن جد الإنسان: أصله الذي منه وجوده، فجعل الجد مجازًا عن الأصل، فقوله: ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ معناه: تعالى أصل ربنا. وأصله: حقيقته المخصوصة التي لنفس تلك الحقيقة من حيث إنها هي تكون واجبة الوجود، فيصير المعنى: أن حقيقته المخصوصة متعالية عن جميع جهات التعلق بالغير؛ لأن الواجب لذاته يجب أن يكون واجب الوجود من جميع

جهاته، وما كان كذلك استحال أن يكون له صاحبة وولد(١).

**ومن أمثلة هذا الاستدلال أيضًا:** قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [مريم:٣٥]. **وصيغة** ﴿**مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ**﴾ تفيد انتفاء الولد عنه تعالى بأبلغ وجه؛ لأن لام الجحود تفيد مبالغة النفي، وأنه مما لا يلاقي وجود المنفي عنه، ولأن في قوله: ﴿أَن يَتَّخِذَ﴾ إشارة إلى أنه لو كان له ولد لكان هو خلقه واتخذه فلم يعد أن يكون من جملة مخلوقاته، فإثبات البنوة له خلف من القول. وجملة: ﴿**إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ بيان لجملة: ﴿**مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ**﴾ لإبطال شبهة النصارى، إذ جعلوا تكوين إنسان بأمر التكوين عن غير سبب معتاد دليلاً على أن المكون ابن لله تعالى، فأشارت الآية إلى أن تكون أصول الموجودات أبناء لله تعالى، وإن كان ما يقتضيه لا يخرج عن الخضوع إلى أمر التكوين(٢).

وإنه تعالى لما قال: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ ثم قال عقيبه: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ كان كالحجة على تنزيهه عن الولد. **وبيان ذلك:** أن الذي يجعل ولدًا لله تعالى إما أن يكون قديمًا أزليًّا أو يكون محدثًا، فإن كان أزليًا فهو محال؛ لأنه لو كان واجبًا لذاته لكان واجب الوجود أكثر من واحد، هذا خلف. وإن كان ممكنًا لذاته كان مفتقرًا في وجوده إلى الواجب لذاته غنيًّا

(١) انظر: تفسير ابن فورك ٣/ ٥٨، وتفسير البسيط للواحدي ٢٢/ ٢٨٤، وتفسير الرازي ٣٠/ ١٣٧.

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ١٦/ ١٠٣.

لذاته، فيكون الممكن محتاجًا لذاته فيكون عبدًا له؛ لأنه لا معنى للعبودية إلا ذلك. وأما إن كان الذي يجعل ولدًا يكون محدثًا فيكون وجوده بعد عدمه بخلق ذلك القديم وإيجاده، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿**إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾، فهو تبكيت لهم ببيان أن شأنه تعالى إذا قضى أمرًا من الأمور أن يعلِّق به إرادته فيكون حينئذ بلا تأخير، فمن هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد[1]؟!.

* * *

(١) انظر: تفسير الرازي ٢١/ ١٨٧، وتفسير أبي السعود ٥/ ٢٦٥.

## المبحث الخامس

## الاستدلال بأن الله تعالى لا ابتداء له ولا فناء

الاستدلال بأن الله تعالى لا ابتداء له ولا فناء على تنزيهه عن الصاحبة والولد عادة مطردة في القرآن الكريم، والتالي لكتاب الله تعالى المتأمل فيه يدرك حقيقة ذلك. فإنه قد ثبت بالبرهان أنه حي قيوم، والحي القيوم يستحيل عقلاً أن يكون له ولد.

قال تعالى في أوائل سورة آل عمران (٢): ﴿**اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾، أي: حي لا يموت فيحتاج إلى ولد يرثه، وهو قيوم لا يتغير ولا يضعف فيفتقر إلى ولد ليقوم مقامه؛ لأنه ورد في نصارى نجران، ثم إن الله تعالى بيّن هذا بأبلغ الوجوه وقال: إنهم يجعلون له بنات ويجعلون لأنفسهم بنين مع أن جعل البنات لهم أولى، وذلك لأن كثير البنات تعين على كثرة الأولاد؛ لأن الإناث الكثيرة يمكن منهن الولادة بأولاد كثيرة من واحد، وأما الذكور الكثيرة لا يمكن منهم إحبال أنثى واحدة بأولاد.

ألا ترى أن الغنم لا يذبح منها الإناث إلا نادرًا، وذلك لما ثبت أن إبقاء النوع بالأنثى أنفع نظرًا إلى التكثير، فقال تعالى: أنا القيوم الذي لا فناء لي ولا حاجة لي في بقاء النوع في حدوث الشخص وأنتم معرضون للموت العاجل، وبقاء العالم بالإناث أكثر وتتبرءون منهن والله تعالى مستغن عن ذلك وتجعلون له البنات. وعلى هذا فما تقدم كان إشارة إلى نفي الشريك نظرًا إلى أنه لا ابتداء لله، وهذا إشارة إلى نفي الشريك نظرًا إلى أنه لا فناء

له[1].

**بالإضافة إلى ذلك نقول:** كل من كان حيًّا قيومًا يمتنع أن يكون له ولد، وإنما قلنا: إن المولى عز وجل حي قيوم؛ لأنه واجب الوجود لذاته، وكل ما سواه فإنه ممكن لذاته محدث حصل تكوينه وتخليقه وإيجاده. وإذا كان الكل محدثًا مخلوقًا امتنع كون شيء منها ولدًا له وإلهًا، كما قال جل وعلا: ﴿**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**﴾ [مريم:٩٣][2].

**وأيضًا:** لما ثبت أن الإله يجب أن يكون حيًّا قيومًا، وثبت أن سيدنا عيسى عليه السلام ما كان حيًّا قيومًا لأنه ولد، وكان يأكل ويشرب ويحدث، والنصارى زعموا أنه قتل وما قدر على دفع القتل عن نفسه، فثبت أنه ما كان حيًّا قيومًا، وذلك يقتضي القطع والجزم بأنه ما كان إلهًا، فهذه الكلمة - كما ذكر الرازي - وهي قوله: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ جامعة لجميع وجوه الدلائل على بطلان قول النصارى في التثليث[3].

**آيات أخرى استدل فيها بهذا المسلك:**

**منها:** قوله تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف:٨٥]. وهذا الآية أوردها الرازي رحمه الله تعالى في ضمن الدلائل على تنزيه المولى عز وجل عن

(١) انظر: تفسير الرازي ٢٨/ ٢٢٦.

(٢) انظر: استخراج الجدال من القرآن لأبي الفرج الحنبلي ص٨٣، وحاشية القونوي على البيضاوي ٣/ ١٠٧.

(٣) انظر: تفسير الرازي ٧/ ١٣٥.

الولد، وذكر أن قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾ إما أن يكون مشتقًّا من الثبات والبقاء، وإما أن يكون مشتقًّا من كثرة الخير. وعلى التقديرين فكل واحد من هذين الوجهين ينافي كون سيدنا عيسى عليه السلام ولدًا لله تعالى، لأنه إن كان المراد منه: الثبات والبقاء، فعيسى عليه السلام لم يكن واجب البقاء والدوام؛ لأنه حدث بعد أن لم يكن، ثم عند النصارى أنه قتل ومات، ومن كان كذلك لم يكن بينه وبين الباقي الدائم الأزلي مجانسة ومشابهة، فامتنع كونه ولدًا له، وإن كان المراد بالبركة: كثرة الخيرات مثل كونه خالقًا للسموات والأرض وما بينهما، فعيسى لم يكن كذلك بل كان محتاجًا إلى الطعام، وعند النصارى أنه كان خائفًا من اليهود وبالآخرة أخذوه وقتلوه، فالذي هذا صفته كيف يكون ولدًا لمن كان خالقًا للسموات والأرض وما بينهما.

وأما قوله تعالى: ﴿**وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾ فالمقصود منه: أنه لما شرح كمال قدرته فكذلك شرح كمال علمه، والمقصود التنبيه على أن من كان كاملاً في الذات والعلم والقدرة امتنع أن يكون ولده في العجز وعدم الوقوف على أحوال العالم بالحد الذي وصفه النصارى(١).

**ومنها:** قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا**﴾ [المائدة:١٧].

(١) انظر: تفسير الرازي ٢٧/ ١٩٩.

**ووجه تقرير هذه الحجة:** لو كان الله تعالى هو المسيح ابن مريم لامتنع عليه إهلاكه، واللازم باطل فالملزوم كذلك. **بيان الملازمة:** أن الله جل شأنه لو كان هو المسيح لكانا ذاتًا واحدة قديمة، ولو كانا ذاتًا واحدة قديمة لامتنع أن يهلك الله ذاته القديمة؛ إذ القديم لا يقبل العدم ولا الهلاك ولا التأثر بوجه. **وبيان انتفاء اللازم:** هو أن الله تعالى قادر على إهلاك من في الأرض جميعًا، بل جميع العالم، فعلى إهلاك المسيح وحده أولى، وإذا كان قادرًا على إهلاكه لزم أنه ليس هو الله، لأن إهلاك المسيح مقدور، وإهلاك الله نفسه غير مقدور؛ ينتج أن المسيح ليس هو الله، وينعكس كليًّا أن الله ليس هو المسيح وهو المطلوب(١).

**ومنها:** قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:٣]، فهو رد على الذين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك؟. وتقريره: أن كل مولود محدث، والله تعالى هو الأول الذي لا افتتاح لوجوده القديم، الذي كان ولم يكن معه شيء غيره، فلا يمكن أن يكون مولودًا(٢).

❊ ❊ ❊

(١) انظر: الإشارات الإلهية للطوفي ص ٢١٣، وعلم الجذل في علم الجدل له أيضًا ص ١١١.
(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٣/ ٣٧٣.

## المبحث السادس

## الاستدلال بأنه لا نافع ولا ضار إلا الله تعالى

لا بد أن نعلم أن الدلائل بهذا المسلك في القرآن الكريم كثيرة، منها: قول الحق سبحانه: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً. أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**﴾ [الإسراء:٥٦-٥٧]. يبكت الله تعالى من خلال هذه الآيات من يعبد الملائكة أو المسيح عيسى ابن مريم أو غيرهما ويتحداهم بأن يدعوهم ما شاءوا أن يدعوا، فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويله منكم إلى غيركم، ويريهم أن الذين يدعونهم يبتغي أقربهم إلى الله تعالى الوسيلة فكيف بالبعيد؟ أو يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله تعالى فكيف تدعونهم وتتخذونهم وسطاء. لذلك احتج المولى عز وجل على فساد مذهب هؤلاء ببيانه أن الإله المعبود هو الذي يقدر على إزالة الضرر وإيصال المنفعة، وهذه الأشياء التي يعبدونها -وهي الملائكة والجن والمسيح وعزير- لا يقدرون على كشف الضر ولا على تحصيل النفع فوجب القطع بأنها ليست آلهة(١).

**ولقائل أن يقول:** هذا الدليل إنما يتم إذا دللتم على أن الملائكة لا قدرة لها على كشف الضر ولا على تحصيل النفع، فما الدليل على أن الأمر كذلك

(١) انظر: آيات الله في الآفاق للعدوي ص ٢٥.

حتى يتم دليلكم؟ **فإن قلتم**: لأنا نرى أن أولئك الكفار كانوا يتضرعون إليها فلا تحصل الإجابة.

**قلنا**: معارضة لذلك قد نرى أيضًا أن المسلمين يتضرعون إلى الله تعالى فلا تحصل الإجابة، والمسلمون يقولون: إن القدر الحاصل من كشف الضر وتحصيل النفع إنما يحصل من الله تعالى لا من الملائكة، وأولئك الكفار يقولون: إنه يحصل من الملائكة لا من الله تعالى وعلى هذا التقدير، فالدليل غير تام.

**والجواب**: أن الدليل تام كامل، وذلك لأن الكفار كانوا مقرين بأن الملائكة عباد الله، وخالق الملائكة وخالق العالم لا بد وأن يكون أقدر من الملائكة وأقوى منهم وأكمل حالاً منهم. وإذا ثبت هذا فنقول: كمال قدرة الله تعالى معلوم متفق عليه، وكمال قدرة الملائكة غير معلوم ولا متفق عليه، بل المتفق عليه أن قدرتهم بالنسبة إلى قدرة الله تعالى قليلة حقيرة، وإذا كان كذلك وجب أن يكون الاشتغال بعبادة الله تعالى أولى من الاشتغال بعبادة الملائكة؛ لأن كون الله مستحقًّا للعبادة معلوم، وكون الملائكة كذلك مجهول، والأخذ بالمعلوم أولى. وأما المتكلمون من أهل السنة والجماعة فلهم في هذا الباب طريقة أخرى وهو أنهم يقيمون بالحجة العقلية على أنه لا موجد إلا الله تعالى ولا مخرج لشيء من العدم إلى الوجود إلا الله تعالى.

وإذا ثبت هذا ثبت أنه لا ضار ولا نافع إلا الله تعالى، فوجب القطع بأنه لا معبود إلا الله تعالى. قال الرازي رحمه الله تعالى معلقًا: "وهذه الطريقة لا

تتم للمعتزلة؛ لأنهم لما جوّزوا كون العبد موجدًا لأفعاله امتنع عليهم الاستدلال على أن الملائكة لا قدرة لها على الإحياء والإماتة وخلق الجسم، وإذا عجزوا عن ذلك لم يتم لهم هذا الدليل"[1].

**آيات أخرى استدل فيها بهذا المسلك:**

**منها:** قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [المائدة:٧٦]. فهذا دليل آخر على عدم إلهية سيدنا عيسى عليه السلام، **ووجه تقريره:** أن الإله يملك لكم الضر والنفع، والمسيح لا يملك الضر والنفع، فالإله ليس المسيح، وينعكس كنفسه المسيح ليس بإله. والمقدمة الأولى واضحة، وأما الثانية: فلأن المسيح لم يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا؛ إذ عند النصارى أنه قتل وصلب وقهر وظلم فلم يمتنع، غير أن النصارى يتجاهلون ويزعمون أنه لم يعجز عنه نفع نفسه ولكنه هو أسلمها لعدوه إقامة للحجة عليهم[2].

**ومنها:** قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [يونس:١٠٦]. فهذا أمر واضح بالتوحيد ونهي عن الشرك، وبرهانه معه، وهو الاستدلال بعدم القدرة على النفع والضر على عدم الإلهية.

**ومنها:** قوله تعالى: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُهُمْ وَلاَ يَضُرُّهُمْ**

(١) انظر: تفسير الرازي ٢٠/ ١٨٥.

(٢) انظر: الإشارات الإلهية للطوفي ص ٢٢٧.

﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان:٥٥]. فقد أورد المولى عز وجل على الكفار في هذا الكلام فساد الوضع، وذلك أن المعبود يجب أن يكون قادرًا على النفع والضر، وهؤلاء عبدوا ما لا ينفع ولا يضر في الحال، وإن كان ضره لازمًا في المآل، بل وفي الحال أيضًا، لأنه يريد خدعة وسياسة كالدابة بل هو أسوأ حالاً، لأن الدابة حيوان متحرك باختيارها بخلافه. وكذلك شأن الإله أن يكون حاكمًا مستظهرًا على عبيده(١).

**ومنها:** قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢]. وتقرير الآية: أن الله تعالى هو الذي يدور النفع والضر والخير والشر مع إرادته وجودًا وعدمًا، وكل من كان كذلك فهو الإله الحق، فالله جل وعلا هو الإله الحق، ومقدمتاه بيّنتان(٢).

* * *

(١) انظر: علم الجذل في علم الجدل للطوفي ص ١٧٣.

(٢) انظر: الإشارات الإلهية للطوفي ص ٣٣٦.

## المبحث السابع

## الإخبار بأن الله تعالى واحد قهار

بما أن الآيات المنضوية تحت هذا المسلك كثيرة ومتعددة، سأكتفي بذكر موضع واحد أخبر الله جل وعلا بوحدانيته وتفرده بالألوهية وتنزيهه عن الصاحبة والولد.

قال تعالى: ﴿**لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لاَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ [الزمر:٤].

يتعين علينا قبل الشروع في إيضاح كيفية الاستدلال بدلالة الإخبار بأن الله واحد قهار في الآية على تنزيهه عن الولد أن نبين حقيقة (الاتخاذ) في الآية الكريمة، فالاتخاذ مئنة من التكلف، فلم يكتف هؤلاء بوصف الله تعالى بنقص الولد، بل جعلوا ذلك أمرًا عسيرًا ينال بمشقة، والله عز وجل لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، و ﴿لَوْ أَرَادَ اللهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لاَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ﴾، وإنما يكون مثل هذا الكلام للتنبيه على غاية الاستحالة(١).

والآية إنما سيقت مساق الفرض العقلى الجدلى، فلا يلزم من ذلك جوازها في نفس الأمر، إذ الاحتمالات الذهنية مما يتوسع فيه، فقد يتصور العقل أمورًا محالة لذاتها لا وجود لها خارج الذهن أصلاً، من قبيل قوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا**

(١) انظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور للجرجاني ٤/ ١٥٢٦.